الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري

# التنمية الثقافية من منظور إسلامي

مع الترجمتين الإنجليزية والفرنسية

منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ الطبعة الثانية : 1436هـ/2015م

رقم الإيداع القانوني : 914/96
ردمك : 0-063-26-9981

التصفيف والتوضيف والسحب في الإيسيسكو
الرباط ـ المملكة المغربية

© جميع الحقوق محفوظة للإيسيسكو
صدرت الطبعة الأولى في سنة 1416هـ/1996م

بسم الله الرحمن الرحيم

# فهرس


- مقدمة ..... 7
- استهلال ..... 11
- تنمية الثقافة والتنمية الثقافية ..... 12
- منطقات التنمية الثقافية ..... 13
- عمليات التنمية الثقافية ..... 18
- الإنسان هو الغاية من التنمية الثقافية ..... 22
- التنمية الثقافية والمستقبل الثقافي للعالم الإسلامي ..... 24
- دور المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في التنمية الثقافية ..... 26

# مقدمة

في ربيع سنة 1996م، عقدت في الكويت (**الندوة الأولى لملامح المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر**)، تحت عنوان (**التنمية في إطار تجديد الفكر الإسلامي**)، بإشراف الأمانة العامة للأوقاف (**الصندوق الوقفي للثقافة والفكر**). وقد شاركت في تلك الندوة، ببحث حول موضوع (**التنمية الثقافية من منظور إسلامي**)، أردت أن يكون منسجماً مع عنوان الندوة، وملائماً للمشروع الحضاري الإسلامي المعاصر، باعتبار أن التنمية هي المقوّم الأول من مقوّمات هذا المشروع الحضاري الذي ينبغي أن يكون معبراً عن طموح الأمة الإسلامية، وعن رؤيتها إلى بناء الحاضر وصناعة المستقبل، وبحسبان أن التجديد هنا لا يراد به تحديث الفكر فحسب، وإنما المقصود منه تجديد المجتمعات، وتحديثها، والنهوض بها من النواحي كافة، من منطلق أن التنمية هي المعادل الموضوعي للتجديد، وأن التجديد هو السبيل إلى التنمية الشاملة المستدامة.

ولقد عالجت في هذا البحث، الذي نشرته مع الترجمتين الإنجليزية والفرنسية في سنة 1996م، وأعيد نشره في طبعته الثانية، قضايا التنمية الثقافية من زوايا عديدة. وخلصت إلى

النتيجة التي أراها جديرة بالتركيز عليها، وهي أن الإنسان هو الغاية من التنمية الثقافية. وربطت بين التنمية الثقافية وبين المستقبل الثقافي للعالم الإسلامي، قبل أن أنتهي إلى إبراز دور المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في التنمية الثقافية، مركزاً على تحليل مضامين الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي التي وضعتها الإيسيسكو واعتمدها مؤتمر القمة الإسلامي السادس المنعقد في داكار سنة 1991م، ثم صادق على تجديدها من بعد المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة المنعقد في الجزائر سنة 2004م.

وسيرى القارئ أنني ركزت على تبيان أبعاد التنمية التي هي عملية متكاملة العناصر، مترابطة الحلقات، متصلة الأسباب، مطردة المراحل، وأوضحت أن التنمية الثقافية هي القاعدة المتينة من قواعد التنمية الشاملة المستدامة التي ترتقي بالإنسان، وتبدع الحضارة، وتصنع المستقبل.

فالتنمية الثقافية من المنظور الإسلامي، هي ذات أفق واسع، وبـُعد إنساني، ومنطلق حضاري، ورؤية شمولية إلى المجتمعات كافة، وليس فحسب إلى مجتمع مخصوص، حتى وإن كان المجتمع الإسلامي، لأن الغاية من التنمية في المقام الأول، هي الارتقاء بالإنسان من حيث هو، بغض النظر عن جميع الاعتبارات، ليكون بانياً للتنمية الشاملة المستدامة التي تحقق الازدهار والأمن والسلام للإنسانية جمعاء.

فليست للتنمية الثقافية حدود، حتى وإن كان لها مجالاتها؛ لأن الفعل الثقافي يمتد تأثيره إلى مختلف المجالات، ويتعدى الحدود جميعاً، باعتبار أن مفهوم الثقافة هو من العمق والسعة والشمول بحيث يشمل النشاط الإنساني بصورة عامة. وكما أن التنمية في ميادين الاقتصاد والصناعة والتجارة والزراعة وعالم المال والأعمال، لا يمكن الفصل بين عناصرها، فكذلك هي التنمية الثقافية لا تثمر وتعطي أكلها إلا إذا توافرت شروط البناء والنماء بالمفهوم العميق الشامل والمتكامل.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

**الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري**
**المدير العام للمنظمة الإسلامية**
**للتربية والعلوم والثقافة**

# استهلال

التنمية الثقافية مفهومٌ مبتكرٌ من مفاهيم العمل الاجتماعي في مدلولاته الشاملة التي تتسع لشتى مناشط الحياة الإنسانية، والتي تشمل مختلف مناحي الجهد البشري، اقترن ظهورُه بحركة اليقظة الفكرية الحديثة، وتَبَلْوَرَ بصورة واضحة، مع تطوّر رؤية المجتمع الدولي إلى رسالة الثقافة في الحياة، ودورها في بناء المجتمعات المعاصرة، حتى صار هذا المفهوم اليوم، من قواعد تقدّم الشعوب، ومن ثوابت السياسات الثقافية والاجتماعية في الدول التي تجعل من التنمية، هدفاً رئيساً من الأهداف الوطنية التي تعمل من أجل تحقيقها.

والتنمية الثقافية، هي المعادلُ الموضوعيُّ لتنمية المجتمع ثقافياً، ولتنمية الثقافة اجتماعياً واقتصادياً، لتكون الثقافة عنصراً فاعلاً في تطوير آليات النمو، ولتدعيم المجهودات التي تُسخر للنهوض بمستويات الحياة، ولترقية الإنتسان، وللرفع من قدراته، ولتحسين أوضاعه، وتفعيل إسهامه في تقدم المجتمع.

ولذلك فإنَّ للتنمية الثقافية مفهوماً واسعاً، يدخل في نطاق التنمية الشاملة التي تقوم على ثلاث قواعد رئيسَة، هي :

1. إقامة العدل، في مدلولاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية،
2. تكريم الإنسان بحفظ حقوقه كاملة، وتعهده بالتنشئة الصالحة والرعاية المتكاملة.
3. الأخذ بمناهج العلم في التفكير والتخطيط لطرقٍ التقدم، ولوسائل التطور، ولأساليب الرقيّ في المجالات كلها.

فالتنمية بهذا الاعتبار، عمليةٌ متكاملةٌ العناصر، مترابطة الحلقات، متصلة الأسباب، مطردة المراحل، وذلك للتداخل القائم بين مختلف العناصر التي تتكوَّن منها عمليةُ البناء الشامل للمجتمع.

وفي هذا السياق، فإنَّ التنمية الثقافية قاعدةٌ متينةٌ من أسس التنمية الشاملة المستدامة، لا تقوم إلاَّ بها، ولا تؤدي دورها إلاَّ من خلالها، ولاتنتج إلاّ إذا كانت الثقافة مثمرة منتجة.

ولذلك فإنّ التنمية الثقافية لاتقوم من فراغ، ولا تتحقق طفرةٌ، وإنما هي نتاجُ تفاعلٍ مجموعة من العوامل يكمل بعضها بعضاً، إذا ما توفرت بالقدر اللاّزم، وتكاملت بالصورة المطلوبة، أدَّت إلى بروز العناصر الفاعلة في تحقيق التنمية الثقافية على النحو الذي يتناسب مع الجوانب الأخرى للتنمية.

## تنمية الثقافة، والتنمية الثقافية

والتنمية الثقافية تبدأ من تنمية الثقافة أساساً، وصولاً إلى تطويرها، وتحديثها، وبلورتها، حتى تكون ثقافة هادفةً، بانيةً،

للإنسان وللمجتمع، أولاً وقبل كل شيء، وذلك من منطلق تحديدٍ دقيقٍ لماهية الثقافة، ورسمٍ موسَّعٍ لمعالم مجالها الحيوي.

ولمّا كانت الثقافة هي مجمل النشاط الإنساني في حقول الإبداع الفكري والأدبي والفني، على تعدُّد أوجه هذا الإبداع، وتَشَعُّب نواحي هذه الحقول، وكان العمل الثقافي عموماً شديد الارتباط بالمناخ الاجتماعي وبالوضع الاقتصادي العام، فإنّ قيام التنمية الثقافية، على النحو الذي يحقّق التقدم الثقافي والازدهار الفكري، ويكفل تطور المجتمع، هو أمرٌ مرهونٌ بإيجاد الدوافع الموضوعية والحوافز الذاتية لدى الأفراد والجماعات، وعلى المستويين الرسمي والشعبي، والتي من شأنها أن تطلق القدرات، وتفجّر المواهب، وتحرك الملكات للإبداع وللإبتكار وللإنتاج الفكري الذي يُنعش الحياة، ويمتّع الإنسان، ويساهم مساهمةٌ فعالةً، في تطوُّر المجتمع فكرياً وثقافياً، وفي رقيّه اجتماعياً وحضارياً.

## منطلقات التنمية الثقافية

ولهذه الأهمية القصوى التي تكتسيها التنمية الثقافية، ولهذه الأهداف النبيلة والمقاصد السامية التي تتغيَّاها، فإنّ بناء المجتمع السويّ القويّ القادر، الذي يحقق الإنسان في ظله ذَاتَه ووجودَه، ويؤدّي رسالته في الحياة التي قَيَّضَهُ الله لها، ويبدع وينتج ويبني أسس الحياة الآمنة الكريمة، يتوقف على مدى التنمية الثقافية، وعلى مستواها وحجمها، وعلى مقدار تأثيرها في المجتمع.

إنَّ التنمية الثقافية من المنظور الإسلامي ذي المنزع الإنساني الرحب، تصدر عن منطلقات أربعة، يمكن إيجاز الحديث عنها فيما يلي :

**أولاً : تحديد منابع الثقافة الإسلامية :** إن الثقافة في المجتمعات الإسلامية، هي بالضرورة، ثقافة إسلامية، للعلاقة الوثيقة بين الثقافة، أي ثقافة، وبين المجتمع، مهما تكن هويته وطبيعته.

وعلى هذا الأساس، فإن التنمية الثقافية في بلدان العالم الإسلامي، تتطلق من تحديدٍ موضوعيٍّ لهوية الثقافة، ولجوهرها، ولأبعادها جميعاً.

وإذا كان القرآن الكريم والسنة الصحيحة، هما القاعدة الراسخة التي تقوم عليها الثقافة في المجتمعات الإسلامية، وتنهض على أساسها التنمية الثقافية من المنظور الإسلامي، فإن هذين المنبعين، هما في حقيقة الأمر كلِّه، البحر الزاخر الذي تنبثق عنه كلُّ المنابع التي تمدّ الثقافة الإسلاميةَ بالحياة، وبالقوة، وبالنضارة، وبالقدرة الدائمة على الإشعاعِ المستمر. وتشمل منابع الثقافة الإسلامية، فيما تشمل، وفضلاً عن القرآن الكريم وما صحَّ من حديث الرسول اللّه ﷺ، مجموع التراث الحيّ الثري الحافل الذي خلفه سلفُ الأمة الإسلامية لخلفها، وهو التراث الزاخر الذي يشكّل القاعدة العريضة للثقافة الإسلامية في أبعادها الرحبة، والرصيدَ الذي لاينضب للحضارة الإسلامية في مظاهرها المتعددة.

ولايعني بحالٍ من الأحوال، أن انبثاق الثقافة الإسلامية من هذه المنابع، اصطباغَه بصبغة إقليمية، أو عنصرية، أو نزوعَها إلى الانعزال والإنكماش، وإنما الأمر بخلاف ذلك كله، فهذه المنابع جميعاً، تُغني الثقافة في المجتمعات الإسلامية إغناءاً كاملاً، وتُكسبها سعةَ الأفق، وعمقَ المحتوى، والقابلية للتفاعل، والتثاقف، والتحاور مع الثقافات الإنسانية جميعاً، دون استثناء.

**ثانياً : ضبط المصطلحات وتقعيدها**، والتأكيد على إنسانية الثقافة في المنظور الإسلامي، يتطلب القيام بعملية دقيقة لضبط المصطلحات، وتقعيدها، ولتجلية المفاهيم، وتأصيلها، حتى لا تتداخل المعاني، ولئلا يقع الخلط في الدلالات. ذلك أن السمات الإنسانية التي تصطبغ بها الثقافة الإسلامية، وفي مقدمتها سمتا السعة والشمول، وخاصيتا التفتّح والمرونة، وصفة التسامح، لاينبغي أن تكون سبباً في التشويش على المعنى السامي الرفيع الذي يتمثَّل في هذه الثقافة، وهو أنها ثقافة مؤمنة، إنسانية، هادفة، بناءة، تستجيب لأشواق الإنسان، وتلبّي طموحاته، وتنسجم مع فطرته، وتقوي في النفس البشرية حوافز الأمل والثقة والرجاء، ونوازع الحق والخير والجمال.

وعلى ضوء هذا المعنى الراقي، فإن القصد من عملية (**التنمية**)، من حيث هي تنمية أولاً وقبل كل شيء، هو خدمة الإنسان في المقام الأول، روحياً وثقافياً، واجتماعياً، واقتصادياً، من الوجوه كافة، ومن الجوانب كلّها.

وكذلك فإن التنمية الثقافية، هي أيضاً تصبّ في هذا الاتجاه، فهي تنميةٌ لصالح الفرد والمجتمع، وهي عملية إنسانية جامعة شاملة تتداخل فيها عوامل شتى، تبدأ وتنتهي بكفالة الخير والنفع للإنسان، وضمان التقدم والرقي له، ولمجتمعه، في توازن دقيق، وفي تناغم جميل، وفي توسُّط واعتدالٍ، هما من صميم طبيعة الثقافة الإسلانية، على وجه الإجمال.

**ثالثاً : رسم معالم العمل الثقافي المراد تنميتُه،** وإذا كانت مجالات العمل الثقافي بصفة عامة تشمل مختلف أوجه النشاط الإنساني دون استثناء، فإن التنمية الثقافية لا تقصر عن الوفاء بمتطلبات هذا النشاط، ولاينبغي لها أن تقصر في مجال دون آخر، بحيث يمتد مفعولها إلى جميع هذه المجالات، وتشمل مختلف الميادين الثقافية المتعارف والمصطلح على أنها مجالات للعمل الثقافي. مع الفارق الأساس، وهو أن المنطلقات التي يصدر عنها العملُ الثقافي الإسلامي، والأهداف التي يعمل من أجلها، تتميز جميعُها بالخصائص التي تطبع الثقافة الإسلامية.

ومن هذا المرتكز، فإن الميادين التي يتحرك في إطارها العمل الثقافي المرادُ تنميتُه، تصبُ جميعهُا في اتجاه عام واحد، هو خلق الحوافز التي تؤدي إلى تحقيق القدر المناسب والمتاح من الوحدة الثقافية بين المسلمين، من منطلق التشبث بالقيم والمبادىء والأصول التي تشكّل ثوابت عقدية وثقافية وحضارية، هي القاسم المشترك بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة في مشارق الأرض ومغاربها، وهي في الوقت نفسه، القاعدة الصلبة

التي تقام عليها صروح التعاون والعمل الإسلامي المشترك في الميادين كافة، وبصورة أخص، العمل الثقافي الإسلامي الذي هو حجر الأساس في بناء المجتمع الإسلامي الجديد على هدي الإسلام وسماحته ويسره ومرونته وإخائه.

**رابعاً : رصد مجالات التثاقف مع الأمم الأخرى،** تتميز الثقافة الإسلامية بأنها ثقافة مبدعة وقادرة على التجاوب مع متطلبات كل عصر ومستجداته، لأن مبادئها تتسم بالشمول والسعة، ولأنها نابعة من الدين الخاتم الموجّه للناس كافة.

وفي إطار هذه الخصيصة، فإن للثقافة الإسلامية من المرونة والانفتاح على الثقافات الأخرى، ما يمكّنها من إغناء الثقافات الأخرى والانتفاع بما لدى هذه الثقافات من عطاءات إبداعية تساهم في تجديد الثقافة وإنمائها، وتطوير الأعمال الثقافية وتحديث وسائلها.

ومجالات التثاقف مع الأمم الأخرى عديدة ومتشعبة، غير أن أهم ما يحكم عملية التثاقف هذه، هي ضوابط الشرع الإسلامي ومبادىء الخلق القويم، التي تهدف إلى ضمان العدل والخير، ومنع الظلم والعدوان، وحفظ العقل والنفس والمال والعرض والدين، ومراعاة مصالح المسلمين والحفاظ على حقوقهم.

ولذلك فإن مجالات العقيدة وما يتصل بها من مسائل غيبية، والعبادات، وأحكامها، والعقوبات المقررة شرعاً، وأحكام الأسرة والمواريث، والمعايير المتعلقة بالقيم المطلقة كالحرية

وحقوق الإنسان والمساواة، هي مجالات محكومة بنصوص الشرع الحنيف، ولايمكن اعتبارها مجالات للتثاقف والتغيير والتجديد، بل هي في حقيقة الأمر، جوهرُ الدين وعمادُه، وما عدا ذلك، فإن كلّ مجالٍ من مجالات العمل الإنساني يمكن النظر في الاستفادة مما فيه من تجديد وتطوير يخدمان الثقافة الإسلامية، ويزيدان من قدرتها على مواجهة مشكلات العصر وتحدياته، ويساهمان في إيجاد ثقافةٍ عالميةٍ إنسانيةٍ تحقق السعادة والسلام للناس أجمعين.

إن عملية التثاقف تقوم على أساس متين من الاختيار الحرّ، والاقتناع المسبق بضرورة ربط الصِّلات وإقامة القواعد للتبادل الثقافي، وللتحاور الثقافي، وللتعاون الثقافي في أبعاده المتعددة، وبمفاهيمه العامة. ومن المنظور الإسلامي، فإن التثاقف هو أخذٌ وعطاء، في إطار مَرِنٍ، وبعقلية متفتحة، وبهدفٍ نبيل، هو إغناء الحضارة الإنسانية، وتحقيق آمال البشرية في حياة تسودُها روح الأخوة والتسامح والعدالة والمساواة.

وللثقافة الإسلامية رصيد من تجارب غنية في هذا المجال، فلقد كانت دائماً، وعبر الأزمنة الماضية، ثقافة حوار، وانفتاح، وامتصاص، واستيعاب، أخذاً وعطاء. وللثقافة الإسلامية من المقوّمات القوية ما يجعلها اليوم تستأنف دورة حضارية جديدة.

## عمليات التنمية الثقافية

إن تنمية الثقافة بهذا المفهوم الشامل، ومن خلال هذه الرؤية المستوعبة لمجمل النشاط الإنساني في حقول الإبداع

الفكري والأدبي والفني، هي شرطٌ أساسٌ لتحقيق التنمية الثقافية، التي هي الغايةُ الجامعةُ لأهداف شتى، والمعبّرة عن مفاهيم متعددة. ذلك أن ثمة علاقة وطيدة بين تنمية الثقافة، من حيث هي عملية تطوير وتحديث وتفعيل، وبين التنمية الثقافية، التي هي جماع الأمر كلِّه، والنتيجة النهائية للمجهود الإنساني الذي يُبذل في هذا المجال الحيوي المهم جداً، من مجالات البناء الشامل للمجتمع والإنسان معاً.

وعلى هذا الأساس، فإن التنمية الثقافية من المنظور الإسلامي، الذي ينطلق من رصيد الماضي ومن معطيات الواقع، ومن متطلبات المستقبل، تشمل أبعاداً شاسعةً، يندرج تحت كل بُعد منها، جملةٌ من العمليات الثقافية التي يتعيّن القيام بها لبلوغ القدر المطلوب من التنمية في مجالها المحدود.

ونرصد في هذا السياق، ستَّ عمليات رئيسَة من عمليات التنمية الثقافية، نستعرضها على النحو التالي :

**أولاً : إقامة المؤسسات التي ترعى مشروعات التنمية الثقافية في دول العالم الإسلامي**، ولهذه العملية وجهان؛ دعمُ المؤسسات القائمة، وتعزيز دورها، وتمكينُها من الوسائل التي تساعدها على القيام بالمهام الموكولة إليها، وتحقيق الأهداف المرصودة لها، والسعيُ من أجل إنشاء مؤسسات جديدة تتطلبها احتياجات التنمية الثقافية في العالم الإسلامي قاطبة، على أن تكون هذه المؤسسات ذاتَ أهداف مشتركة، وقائمةً على أساسٍ متينٍ من التنسيق والتكامل والتعاون.

**ثانياً : تعميم تعليم اللغة العربية وتقوية مناهج تدريسها،** وهي عملية بالغة الأهمية، شديدة الإلحاح، لها الأولوية المطلقة، وتهدف إلى توسيع دائرة انتشار اللغة العربية، سواء بين الناطقين بها، أو بين أوساط غير الناطقين بها، باعتبار أن اللغة العربية هي الوعاء الطبيعي للثقافة في البلدان الإسلامية، وأن الثقافة من المنظور الإسلامي، لابد وأن تنهض على أساس من القرآن الكريم والحديث النبوي، فهما معاً، الكتاب والسنة، القاعدة التي تُؤسَّس عليها الثقافة في المجتمعات الإسلامية، علاوة على ما في انتشار تعليم اللغة العربية من أثر قويٍّ وحافز شديدٍ، لتقوية الأواصر بين أبناء الأمة الإسلامية، ولتحقيق الوحدة الثقافية في العالم الإسلامي.

على أن لا يقتصر الأمر على تعميم تعليم اللغة العربية فحسب، بل ينبغي أن يَتَوَازَى معه جهدٌ مكثَّف في تقوية مناهج تدريسها، وفي النهوض بمستوى القائمين عليها، علمياً وفنياً ومهنياً، حتى يستطيعوا أن يقووا من حضور اللغة العربية، في حقول الثقافة والعلم والمعرفة عموماً.

**ثالثاً : إغناء مناهج التعليم في مراحله المختلفة بالقيم الثقافية الإسلامية،** ولهذه العملية صلة وثيقة بسابقتها، ذلك أن المناهج التعليمة السائدة في البلدان الإسلامية، هي حاجة دائمة إلى تطوير وتحديث من جهة، وإلى تطعيمها بالقيم الثقافية الإسلامية، وإلى إغنائها بالمفاهيم السمحة لهذه الثقافة ذات

المنزع الإنساني الرحب، وذلك حتى تكون في حالة من التلاؤم والانسجام بين ضرورات التعلّم، وبين واجبات التشبع بالروح الإسلامية، في جميع المراحل التعليمية.

**رابعاً : تشجيع حركة التأليف والنشر والترجمة والأعمال الفنية المختلفة**، وهذا وجهٌ من وجوه العمل الإسلامي الثقافي المشترك، ومجالٌ مهمّ من مجالاته المتشعبة، يستدعي تضافر الجهود وتنسيقها وتكاملها، للقيام بأنشطة مشتركة، يكون من شأنها تشجيع حركة التأليف والنشر والترجمة، وحفز ذوي المواهب الفنية إلى الابتكار والإنتاج في ميادين الفن عموماً، من موسيقى، ومسرح، وسينما، وفنون تشكيلية، بما في ذلك الأدب شعراً ونثراً. والتعاون الإسلامي في هذا المجال، ضرورة من ضرورات النهوض بالتنمية الثقافية في البلدان الإسلامية. على أن يُراعَى في تنشيط هذه الحركة الفكرية والثقافية والأدبية والفنية، ترسيخ القيم الثقافية الإسلامية، في المقام الأول، لئلا تكون حركة سالبة، منفلتة، لا ضابط لها من دين وخلق وقيم.

**خامساً : توظيف وسائل الاتصال الحديثة في نشر القيم الثقافية الإسلامية**، والهدف من هذه العملية، هو ترسيخ هذه القيم، عن طريق التوظيف الذكي والاستغلال الرشيد للإمكانات الهائلة التي توفرها وسائل الإعلام ووسائط التواصل الاجتماعي لتطوير المجتمعات الحديثة، على أساس أن الإعلام هو لغة العصر، وأداة التأثير الشامل التي تتوافر للإنسانية في هذه المرحلة

من التاريخ، مما يقتضي حسن استثماره، واستغلاله لفائدة تطوير المجتمعات الإسلامية، وتنميتها، وذلك من خلال إنتاج برامج ثقافية، وترفيهية واجتماعية ذات طابع إسلامي، وبأساليب فنية راقية، تنأى عن المنحى التقريري والطريقة التقليدية.

**سادساً : دعم العمل الثقافي الإسلامي المشترك**، ويقتضي ذلك أن تتعهد الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي كافة، مؤسسات، ومنظمات، وأجهزة العمل الإسلامي المشترك، بالرعاية الشاملة، وبالدعم المالي المستمر، وذلك بتوفير الموارد المادية والبشرية لها، والاهتمام بتطوير مفهوم التضامن الإسلامي، وتجديده، وتعميقه، حتى يكتسي دعمُ العمل الثقافي الإسلامي المشترك قيمته، وأهميته، ووزنه، ليكون دعماً للعمل الإسلامي الدولي المشترك، في مجالاته المتعددة. وعبر قنواته المتنوعة.

## الإنسان هو الغاية من التنمية الثقافية

إنّ مدار الأمر كلِّه في التنمية الثقافية في ضوء المنظورِ الإسلاميِ، هو خدمةُ الإنسان من النواحي كافة، لينضج عقلياً ووجدانياً، ويستقيم فكرياً وسلوكياً.

ويمكن أن نقول إنَّ تنمية الإنسان هي الغاية من كل تنمية ثقافية، بل الغاية القصوى من التنمية الشاملة ككل. ولذلك فإنّ بناء الإنسان المسلم وتكوينه وإعداده لخوض معركة

الحياة، وبكلّ جدارةٍ وكفاءةٍ واقتدار، وبشجاعة القلب وجسارة العقل، هو الهدفُ الرئيسُ الذي يجب أن يضعه مخطّطو التنمية الثقافية في العالم الإسلامي، في مقدمة الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها.

إنَّ بناء الإنسان لايتم بالتربية والتعليم فحسب، ولايقوم بالثقافة والفكر فقط، ولاينهض بالفن والأدب دون غير، ولكن بناء الإنسان يقوم أساساً على هذه العناصر مجتمعة، وعلى عناصر أخرى، منها التوجيه الاجتماعي الرشيد، ومنها التعبئة النفسية الصحيحة، ومنها إتاحة فرص الحياة الكريمة التي تكفل للمرء التنشئة السّوية في ظلّ مناخ نظيف، يُتيح التمتع بالحقوق التي كفلها اللّه لبني البشر كافة.

إنَّ هذه الرؤية الإسلامية الحضارية إلى التنمية الثقافية، هي التي تفتح أمامنا آفاق المستقبل الثقافي للعالم الإسلامي.

ومستقبل الثقافة في العالم الإسلامي، رهينٌ بإرادة البناء الحضاري التي تتوفر لأبنائه، وبمدى النجاح الذي يتحقق في مجال التنمية الثقافية على مستوى كل قطر من أقطاره؛ فإذا توفرت الإرادة القوية، والرؤية السليمة، والفهم الصحيح لمتطلبات العمل الثقافي والتخطيط لأهدافه وغاياته، فإنّ العالم الإسلامي سيسير في الاتجاه الصحيح، ويواجه التحديات الحضارية المتعددة بقدرات أكبر، وبإمكانات أعظم، وبحظوظ أوفر للتقدم والازدهار.

## التنمية الثقافية والمستقبل الثقافي للعالم الإسلامي

إنَّ التنمية الثقافية اليوم، هي حجر الزاوية في بناء المستقبل الثقافي للعالم الإسلامي، وبقدر ما تتضافر الجهود وتُسخر الإمكانات في تحقيق التنمية الثقافية، فإنّ بناء هذا المستقبل سيقوم على أساس راسخ. ولذلك فإنّ تدعيم التعاون بين دول العالم الإسلامي في هذا المجال الحيوي، هو واجبٌ شرعي، وهو أيضاً ضرورة حيوية، لامحيد لنا عن أن نقدرها حقّ قدرها.

وليس من شكّ في أنّ تطور العالم الإسلامي وتقدمه في المجالات كلِها، يتوقفان على تحقيق مستويات ملائمة من التنمية الثقافية في جميع أقطاره، يكون من شأنها أن تستثمر الطاقات الحيّة المدخرة، في الاتجاه الذي يخدم أغراض التنمية البشرية الشاملة، وعلى النحو الذي ينقل العالمَ الإسلاميَّ من مرحلة التراجع الحضاري، إلى مرحلة التدافع الحضاري أمام الثقافات والحضارات الإنسانية المعاصرة.

وقد سبق للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وبدافع قويٍّ من حرصها على ترشيد التخطيط الثقافي على صعيد العالم الإسلامي، أن نظمت ندوة ثقافية إسلامية دولية في شهر أكتوبر سنة 1993م، بمدينة فاس المغربية، بالتعاون مع جامعة القرويين، خصصت لدراسة [ **المستقبل الثقافي للعالم الإسلامي من خلال واقعه المعاصر**].

وقد صدرت عن هذه الندوة، جملة من التوصيات المهمة، من المناسب إيرادُ بعضها في سياق الحديث عن التنمية الثقافية والمستقبل الثقافي للعالم الإسلامي :

1. مساعدة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة على تطبيق الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، بخلق آليات عملية وإيجاد وسائل مادية، وتوفير الظروف المناسبة لتحقيق أهداف هذه الاستراتيجية.
2. ربط المؤسسات التعليمية بأهداف التنمية الثقافية الشاملة، بحيث يكون الدور المنوط بهذه المؤسسات مرتبطاً بالعملية التنموية المتكاملة في إطار من وحدة الهدف، وهو بناء حاضر العالم الإسلامي ومستقبله على أساس من الترابط بين الفكر والعمل.
3. الاستفادة من الجهود التي تقوم بها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في وضع المناهج التربوية والعلمية لفائدة الدول الأعضاء، وذلك في صياغة المناهج وتطويرها في جميع أنحاء العالم الإسلامي.
4. إدخال مادة الثقافة الإسلامية، بما في ذلك الفقهُ الحضاريُّ، وتفسير التاريخ على أساس المنهج الإسلامي، في جميع مراحل التعليم وتخصصاته في البلاد الإسلامية، وذلك بصورة إلزامية، تحقيقاً لهدف إشاعة المفاهيم الإسلامية ونشر الثقافة العربية الإسلامية في جميع المستويات الدراسية.

5. التأكيد على أهمية اللغة العربية في نشر الثقافة الإسلامية، واعتبارها وسيلةً لتطوير الجامعات في اتجاه تأصيل المناهج، لتكون في خدمة المجتمعات الإسلامية، وذلك للترابط القائم بين اللغة العربية وبين الثقافة الإسلامية، ومن أجل تعميق الصلة بين الشعوب الإسلامية والمناخ الحضاري الإسلامي الذي تُعَدُّ اللغة أحدَ مرتكزاته الأساس.

6. العمل على ردم الهوة التي تفصل بين الدراسات والعلوم الشرعية الإسلامية، وبين الواقع العلمي والفكري والثقافي المعاصر، وذلك بتطعيم منهج الدراسة في الجامعات الإسلامية بالعلوم الحديثة، بحيث يتخرج الطالب المتخصص في العلوم الإسلامية في صورة تُعينه على المشاركة في الحياة العلمية للمجتمع، وتساعده على فهم الواقع، وعلى التعامل معه من موقع ثقافيٍّ متميّز.

7. متابعة الجوانب الإيجابية في معطيات الفكر العالمي من أجل إيجاد المزيد من المرتكزات التي تجعل الحوار بين الإسلام وبين الثقافات الأخرى، أكثر جدية وأوفر عطاء.

## دور الإيسيسكو في التنمية الثقافية

إنَّ الهدف الرئيسَ الذي تعمل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة من أجل تحقيقه على مراحل، هو الوصول

إلى تنمية ثقافية شاملة ومستدامة للتربية والتعليم والعلوم والثقافة والاتصال والفنون جميعاً، فهي الجهاز الإسلامي الدوليّ المتخصص في هذا المجال الحيوي ذي الصلةِ الوثيقة بتقدّم المجتمعات ورقيّها وازدهارها.

ولما كان الإسلام منهجاً للبناء الحضاري، ودعوةً للتقدم، فإنّ توجيهات الإسلام للعمل الثقافي عموماً، تنطلق من تكريم الإنسان، ومن العمل على ترقيته فكرياً وثقافياً، ومن السعي من أجل تطوير حياته من خلال إتاحة الفرصة له ليمارس وظيفته في الحياة مستنيرَ القلب والعقل والوجدان.

وقد حرصت المنظمة في إطار مهامها الرئيسة على القيام بعمل تخطيطي بعيد المدى تخدم به تنمية الثقافة في العالم الإسلامي، فبادرت إلى تضمين برنامج خاص لوضع الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي في خطة عملها للأعوام 85 - 1988م.

وبعد انعقاد المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء الثقافة عام 1989. في داكار، شرعت المنظمة الإسلامية والأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي في وضع هذه الاستراتيجية التي صادق عليها وأقرها، مؤتمر القمة الإسلامي السادس المنعقد في داكار في ديسمبر عام 1991م[1]. وقد اشتملت هذه

---

(1) صادق المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة المنعقد في الجزائر العاصمة عام 2004م، على تجديد الاسترتيجية الثقافية للعالم الإسلامي.

الاستراتيجية على الأسس الثابتة، والتوجّهات العامة للتنمية الثقافية في البلدان الإسلامية، ورسمت معالم واضحة تهدي العاملين في مجال التخطيط الثقافي ووضع السياسات الثقافية في البلدان الإسلامية، نحو أرشد الوسائل، وأنجع الأساليب، وأقوم الطرق التي تؤدي إلى تحقيق هذه التنمية المرتجاة، وذلك في سياق عام، هو تطوير المجتمعات الإسلامية، والرفع من مستويات الحياة فيها.

وتتضمن [**الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي**] مقدمة وخمسة فصول، يتناول الفصل الأول تحديد المفاهيم والخصائص والمصادر، بينما يختص الفصل الثاني بشرح الأهداف، أما الفصل الثالث فيعرض قضايا الثقافة الإسلامية، في حين يوضح الفصل الرابع مجالات عمل الثقافة الإسلامية، ويحدد الفصل الخامس والأخير وسائل تنفيذ الخطة.

وتتطرق مقدمة الاستراتيجية الثقافية لأهمية استشراف مستقبل الثقافة الإسلامية، وتبرز حاجة العالم الإسلامي إلى استراتيجية للثقافة. وذلك من منطلق الوعي بأن الازدهار الحضاري مرهون بسلامة استراتيجية الثقافة.

وتطالعنا مقدمة الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي بمبادىء عامة تسوقها في إطار شروط سلامة استراتيجية الثقافة.

وترصد مقدمة الاستراتيجية الاتجاهات الثقافية العامة للواقع المعاصر في العالم الإسلامي، وتحلل أبعاد المتغيرات

والتفاعلات وعواملها الأساس على الصعيد العالمي، وتخلص إلى التأكيد على دور الثقافة في المسيرة التنموية.

وتُعدُّ الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي بمثابة بوصلة للعمل الثقافي الإسلامي، وهي تخطيط علمي في غاية الصرامة والدقة والإحكام، يرسم الخريطة الثقافية بالمعنى العام للثقافة، ويضع أمام الحكومات والمنظمات والهيئات والأفراد والجماعات، معالم الطريق نحو ممارسة الفعل الثقافي من موقع جد مؤثر في البيئة والمجتمع، وفي الإنسان المسلم في الحاضر والمستقبل.

وتعدُّ [ **استراتيجية الثقافة للعالم الإسلامي** ] هذه، الإطار العام الذي يساعد على وضع السياسات الثقافية الهادفة إلى إيجاد المناخ المناسب والبيئة الملائمة وتوفير الإمكانات القادرة على تنشيط الدورة الثقافية في جسم المجتمع الإسلامي.

وهذه الاستراتيجية هي وثيقة رسميةٌ تبنَّتها دولُ منظمة التعاون الإسلامي، وتهتدي بها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، في وضع خطط عملها وإعداد برامجها.

وقد تمّ الاهتداء في إعداد هذه الاستراتيجية، بالتوجيهات الإسلامية، وبالتصور الإسلامي العام لرسالة الثقافة في المجتمع، وبرؤية الإسلام إلى العمل الثقافي في مجمله، وهي بذلك ثمرة يانعة من ثمرات التفكير والتخطيط للتنمية الثقافية في ضوء المنظور الإسلامي، مما يجعلها وثيقةً مهمةً مكملةً للوثائق المعتمدة في العمل الإسلامي المشترك القائم على التضامن

الإسلامي، والهادف إلى تحقيق المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر من جوانبه كافة.

إن جميع خطط عمل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة التي تشمل برامجها ومشروعاتها والأنشطة التي تقوم بها، تدور حول محور رئيس كبير، هو تحقيق التنمية الثقافية في أبعادها التربوية والعلمية، وبمضامينها الحضارية الجامعة، وهو ما نصطلح عليه بـ [**التنمية الشاملة**]، أو ما يعرف في مصطلحات الأمم المتحدة بـ [**التنمية المستدامة**]، ويراد بها التنمية المستمرة الدائمة التي تستفيد منها الأجيال الحاضرة والأجيال القادمة.

وفي ظل التضامن الإسلامي الوارف، يمكن أن يزدهر التعاون الثقافي بين البلدان الإسلامية في إطار القنوات الرسمية المختصة، وفي مقدمتها المنظمةُ الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ويتدعم ويتطّور هذا التعاون من خلال العمل المشترك، ووفقاً للتوجّهات العامة للاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، وعلى النحو الذي يؤثّر إيجابياً في التنمية الثقافية في البلدان الإسلامية. فالتعاون الثقافي الذي يشمل تبادل الخبرات، والاستفادة من التجارب في كلّ بلد إسلامي، علاوة على ما يرمي إليه من تحقيق القدر المناسب من التكافل الثقافي الذي يقضي بأن يقدم القادرون المساعدات الثقافية إلى غير القادرينَ، خصوصاً في المجالات التأسيسية، وفي الوسائل التي تتطلبها إقامة البنية الثقافية المتكاملة في الدول ذات الخصاص.

إنّ التنمية الثقافية في ضوء المنظور الإسلامي، هي جزء مكمّل لتنمية العالم الإسلامي، ولتقدّم الأمة الإسلامية ولازدهار الحياة ورقيّ الإنسان فيها[2].

*

(2) تعدّ (**استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي خارج العالم الإسلامي**) التي اعتمدها مؤتمر القمة الإسلامي التاسع المنعقد في الدوحة عام 2000م، وصادق المؤتمر الإسلامي الخامس لوزراء الثقافة المنعقد في طرابلس عام 2007م، على تجديدها، مكمّلة للاستراتيجية الثقافة العالم الإسلامي من وجوه كثيرة. كذلك تندرج (**استراتيجية التكافل الثقافي للعالم الإسلامي**) التي اعتمدها المؤتمر الإسلامي الخامس لوزراء الثقافة المنعقد في طرابلس عام 2007م، في هذا الإطار العام.